هديُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع

أصحاب المصائب والابتلاء

كـلمةٌ ألقاها فضيلة الشيخ:

طارق بن شيهان الغويري

-غفر الله له ولمشايخه ولوالديه-

عناية وتخريج:

الصغيِّـر بن عمَّـار

-غفر الله له ولمشايخه ولوالديه-

النسخة الأولى

1441 هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحدَه، وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارَك على من لا نبيَّ بعدَه، وعلى آله وصحبه. أما بعدُ،

فهذه كلمةٌ جليلَةُ القدر، عظيمَة النَّفع، عنوانها: «**هديُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع أصحاب المصائب والابتلاء**»، نظَّمتها وزارةُ الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، وألقاها ارتجالًا -عبر الشبكة العنكبوتية- يوم الأحد 26 شعبان 1441، شيخُنا المُتَفَنِّن البحَّاثة الشيخُ طارقُ بنُ شيهان الغُوَيري -كتب اللهُ أجرَه وأعظَمَ في الخَلق نفعَه-.

ولَمَّا قام بتفريغها أحدُ إخواننا الفضلاء -شكر الله سعيَه-، استشرتُ شيخَنا في مراجَعتِها وتخريجِها والعنايةِ بها، فرَحَّب بالفِكرة، وحثَّني على المُضِيِّ فيها، لعلَّ اللهَ أن ينفعَ بها مَن شاء مِن خَلقِه.

وكان عملي فيها كالتالي:

- راجعت التفريغ، وقابَلتُه بالأصل الصوتي، وصحَّحته

واستدرَكت بعض السَقط فيه، مع شكل ما يُشكِلُ منه.

■ عزوتُ الآيات، وكتبتها بالرَّسم العثماني، وخرَّجت الأحاديث ونقلتُها بلفظِها من مصادِرها.

■ عَزوتُ النُّقول والأشعارَ ما استطعت، مع إثباتِها كما ورَدَت في أصولها من كلام قائليها، فإنَّ الشيخ –حفظه الله– ربَّما نقل بعضها ارتجالا، والكلام المُقرَّر ليس كالكلام المُحَرَّر، مع التنبيه إلى ما حبا اللهُ به شيخَنا من دِقَّةٍ في النَّقل، وقوَّةٍ في الحفظ والاستظهار، زاده اللهُ من فضله.

■ أضفتُ بعض النقول، استجابَةً لطلب الشيخ، منها ما أثبتُّه في الحاشية –وهو الغالب–، ومنها ما أدمَجتُه مع كلامه –وهو القليل النادر–.

أسأل اللهَ أن ينفع بهذه الكلمات، وأن يجعلَها في ميزان حسنات شيخِنا يوم القيامة، وأن يُجرِيَ له بَركتَها عليه في الدنيا والآخرة.

وكتب

الصغيَّر بن عمَّار

ظهر الأحد 03 رمضان المبارك لعام 1441

الموافق لـ26 أفريل 2020 بمدينة «ليون» بفرنسا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وآله وصحبه أجمعين.

أما بعدُ،

فإنَّ من أركان الإيمان بالله، وأصول الدين المتلقاة من دلائل الكتاب والسنن وأقوال السلف عبر الزمن، الإيمانَ بالقضاء والقدر، ومن لم يؤمن به فليس له في ميزان الدين قَدْر.

وإليك حديثَ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الإيمان: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**». [1]

1- رواه مسلم (8). وفيه قال ابن عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «والذي يَحلِفُ به عبدُ الله بنُ عمرَ لو أنَّ لأحدِهم مثلَ أُحُدٍ ذهباً فأنفَقه ما قبِلَ اللهُ منه حتى يؤمن بالقدَر».

=

وهو قائم على مراتبَ أربع:

1- **العلم بأن الله أحاط بكل شيء علما**، وعلِمَ ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، ﴿إِنَّ

=

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتاوى» (8/ 30): «**ومَن لم يقُل بقول السلف فإنَّه لا يُثبِت لله قدرةً، ولا يُثبتُه قادِراً** كالجهمية ومن اتَّبَعهم، والمعتزلة المُجبِّرة والنافية: حقيقةُ قولهم أنَّه ليس قادِرًا وليس له المُلك، فإنَّ المُلك إما أن يكون هو القُدرة، أو المقدور، أو كلاهما، وعلى كل تقدير فلا بد من القُدرة، **فمن لم يثبت له قُدرةً حقيقيَّـةً لم يُثبِت له مُلكا**». انتهى.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «شفاء العليل» (ص 28): «وقال الإمام أحمد: «**القدرُ قُدرةُ الله**»، واستَحسن ابنُ عقيل هذا الكلام جدا، وقال: «هذا يدل على دِقَّة عِلم أحمدَ وتبَحُّرِه في معرفة أصول الدين». وهو كما قال أبو الوفاء، **فإنَّ إنكارَ القَدَر إنكارٌ لقُدرة الرَّب على خَلق أعمال العِباد وكتابتها وتقديرِها**. وسلَفُ القَدرية كانوا يُنكِرون عِلمَه بها، وهم الذين اتَّفق سلَفُ الأمة على تكفيرهم». انتهى.

ولذا قال في «النونية»:

واستَحسَـــن ابـــنُ عَقيـــلِ ذا مِـــن أحمـــدَ ... لـــمَّا حكـــاهُ عـــن الرِّضـــا الرَّبـــاني

فحقيقـــةُ القَـــدَر الـــذي حـــارَ الـــوَرى ... في شـــأنه هـــو قُـــدرةُ الرحـــمٰن

﴿ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥].

2- وأنَّ اللهَ كتب مقادير كلِّ شيء في اللَّوح المحفوظ كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ﴾[الحج: ٧٠]، وفي «الصحيح»[2] قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**».

3- **الإيمان بالإرادة والمشيئة**، فنؤمنُ بأنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يَجري شيءٌ ما في السماوات والأرض إلَّا بمشيئته وإرادته، ولا يكون في مُلكه إلَّا ما يريد، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[التكوير: ٢٩]، وكما قال: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[يس:

2- مسلم (2653).

.[٨٢

4- **الإيجاد والخلق**، فنؤمنُ بأنَّ اللهَ هو خالق كلِّ شيء، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان: ٢].[3]

فإذا علِمَ العبدُ وأيقنَ أنه لا يَجري شيءٌ إلَّا بتقديرِه، وأنه لا غالِبَ لأمرِه، ولا مُعَقِّبَ لحُكمه، ولا رادَّ لقضائه، اطمأنَّ واستراح.

ومن لم يؤمن بذلك عصَفَت به رياحُ الشَّقاء، ولم يَزِده ذلك في دار البلاء إلَّا بلاء، **فمن لم يؤمن بالقضاء والقدر تنكَّد عيشُه وطال طيشُه.**

قال إبراهيم بن إسحاق الحربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**أجمع عقلاء كل أمة أنه من لم يجر مع القدر لم يتهنَّ بعيشه**».[4]

3- قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «التنبيهات اللطيفة» (ص 92): «**والإيمان بالقدر لا يتم إلا بتحقيق هذه الأمور الأربعة** التي يفتقر كل منها إلى البقية، وقد ارتبط بعضها ببعض ارتباطًا وثيقًا لا ينفصم إلا بالانحراف إلى الأقوال المنحرفة». انتهى.

4- «صفة الصفوة» (1/ 512). قال الشوكاني معلقا على هذا الكلام في «قطر الولي على حديث الولي» (ص 396): «**وهذا صَحِيح، فَمَا**

=

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[الرعد: ٤١]، ويقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[يوسف: ٢١].

«غالب على أمره» أي: فعَّال لما يريد، كما قال سعيد بن جبير.[5]

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[القمر: ٤٩]، وفي «صحيح مسلم»[6]، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

=

تعاظمت الْقُلُوب بالمصائب، وَضَاقَتْ بهَا الْأَنْفس وحرجت بهَا الصُّدُور، إلَّا من ضعف الإيمان بالقدر. اللَّهُمَّ ارحمنا برَحمتك، فإنَّا من الضعْف ما أنت أعلمُ به، ومن عدم الصَّبْر على حوادث الزَّمَان ما لا يخفى عليك، ومن عدم الثَّبات عند المِحَن ما لديك حقيقتُه». انتهى.

5- انظر «تفسير الطبري» (15/ 21)، و«تفسير ابن كثير» (4/ 378).

6- (2045). وانظر شرح ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ لهذا الحديث في «التمهيد» (6/ 63).

«**كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْز والْكَيْس**».

يقول السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: [7]

وكـلُّ مـا قـدَّرَ أو قضـاهُ فواقِـعٌ حَتمًـا كـما قضـاهُ

فالبلايا والمِحَن والرَّزايا والوَباء والدَّاء والدَّواء والخلقُ أجمعون، كُلُّها بتقدير الله سبحانه.

ولا بد من جَرَيانها على العباد، قضاها الله لحكمة، وكم في طَـيّاتها من رحمة[8]، لأنَّ اللهَ سبحانه لا يُقدِّر

7- انظر «لوامع الأنوار البهية» (1/ 357).

8- للبلاء فوائدُ تُسلِّي من عَرَفها، ومِنَحٌ تَشرَحُ صَدرَ مَن عَقَلها، جاءت مبثوثةً في نصوص الكتاب والسنة، ومن أحسن من استنبطها العلامة العز بن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في رسالة له نافعة طُبعت بعنوان: «**الفتن والبلايا والمحن والرزايا، أو فوائد البلوى والمحن**»، بتحقيق إياد خالد الطبَّاع.

وممَّن أحسن في هذا الباب أيضا الإمام ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه العُجاب «زاد المعاد» (4/ 173-180) تحت: «**فصل في هديه** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في علاج حر المصيبة وحزنها**»، فقد أتى فيه بروائع الكَلِم ومَتين العِلم. ونحوُه عند ابن مفلح المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الآداب الشرعية» (2/ 187-199).

=

شرًّا محضًا.

ومِن أعظم ما تَنطَوي عليه مِن جَليلِ الخير، أنَّ العِباد يستيقِظون من غَفلتهم، ويتذكَّرون ويَنكسِرون لربِّهم، ويَعترِفون أنهم مُلكُه وعبيدُه، وأنهم راجِعون إلى حُكمه وتدبيرِه، وقضائه وتقديرِه، لا مَفرَّ لهم منه، ولا مَحِيدَ لهم عنه، ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾[البقرة: ١٥٦].

قال شيخ الاسلام ابن تيمية[9]: «فمِن تَمام نعمة الله على عباده المؤمنين أن يُنزِل بهم الشِّدَّة والضُّرَّ وما يُلجِئُهم إلى توحيده، فيَدْعونه مخلصين له الدين،

=

وفي الباب كتب مستقلة، منها: «**تسلية أهل المصائب**»، لشمس الدين المَنْبجي (المتوفى: 785هـ). انظر ترجمته في «الأعلام» (7/ 41)، للزركلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولراقِم هذه الأسطر رسالة بعنوان: «**تسلية المؤمنين بهوان مصيبة الدنيا عند سلامة الدين**»، منشورة على الشبكة.

9- «الفتاوى» (10/ 333).

ويَرجُونه لا يرجُون أحدًا سواه، وتتعلَّق قلوبُهم به لا بغيره[10]، **فيحصُل لهم من التوكل عليه والإنابة إليه وحلاوة الإيمان وذَوق طَعمه والبَراءة من الشرك ما هو أعظمُ نعمةً عليهم من زَوال المرض والخوف** أو الجَدْب أو حُصولِ اليُسر وزَوال العُسر في المعيشة، فإنَّ ذلك لذاتٌ بدَنيَّة ونِعَمٌ دُنيَويَّة قد يَحصُل للكافر منها أعظمُ مما يحصُل للمؤمن.

وأما ما يَحصُل لأهل التوحيد المُخلصين لله الدين فأعظَمُ مِن أنْ يُعبَّرَ عن كُنْهِه مَقال، أو يَستحضِر تفصيلَه بال، ولكُلِّ مؤمن مِن ذلك نَصيبٌ بقَدْر

10- ومصداق هذا في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾[الزمر: ٨]، وفي قوله جَلَّجَلَالُهُ: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَـٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[الأنعام: ٦٣].

إيمانه...». انتهى. [11]

رُبَّ أمـــــرْ تتَّقِيـــــهِ جَـــرَّ أمـــرًا تَرتَضـــيهِ
خَفِـــيَ المَحبـــوبُ منـــهُ وبَـــدا المكـــروهُ فيـــهِ

والمؤمنُ الصادقُ هو الثابِتُ على إيقانه، الباقي على إيمانه، بأنَّ اللهَ هو كاشِفُ البَلاء ودافِعُ الوَباء، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[يونس: ١٠٧]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ

11- ومن إفادات العز بن عبد السلام رَحِمَهُٱللَّهُ تعالى في كتابه «فوائد البلايا» قولُه: «ولما أخذ الجبار سارَّةَ من إبراهيمَ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ كان في طَيِّ تلك البلية أن أخدَمها هاجرَ، فولدت إسماعيلَ لإبراهيمَ عليهما الصلاة والسلام، فكان من ذرية إسماعيلَ خاتمُ النبيين صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. **فأَعْظِمْ بذلك مِن خَيرٍ كان في طَيِّ تلك البَلِيَّة**».

﴿ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[الزمر: ٣٨]، وفي «الصحيحين»[12] من حديث هشام بن عروة عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول: «**امْسَحِ البَاسَ رَبَّ النَّاسِ، بِيَدِكَ الشِّفَاءُ، لاَ كَاشِفَ لَهُ إِلَّا أَنْتَ**».

قال عبد الرحمن بن عبد الله السُّهيلي الأندلسي:[13]

يَا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ ... أَنْتَ الْمُعَدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ

يَا مَنْ يُرَجَّى فِي الشَّدَائِدِ كُلِّهَا ... يَا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمَفْزَعُ

يَا مَنْ خَزَائِنُ رِزْقِهِ فِي قَوْلِ (كُنْ) ... امْنُنْ فَإِنَّ الخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ

أيها الإخوة، إنَّ أكملَ الهدي هديُ المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه هدَى أمَّته إلى ما فيه الخير والصلاح مما يحتاجونه من أمر دينهم ودنياهم، وفي ما

12- البخاري (5744)، ومسلم (2191).

13- كما في ترجمته في «بغية الوعاة» (2/ 115)، للسيوطي.

وقال بعد إيرادها: «رأيتُ بخط القاضي عز الدين بن جماعة: وُجِد بخَط الشيخ محيي الدين النواوي ما نصُّه: «ما قَرأ أحدٌ هذه الأبيات ودعا اللهَ تعالى عَقِبَها بشيءٍ إلا استُجيب له»». انتهى.

قال شيخنا طارق الغويري -مُعلِّقًا-: «ولا شك أن اتِّباعَ الآثار أولى من الأشعار».

يَحدُث لهم من الحوادث والعَوارِض والابتلاءات، وقد قال الله في وصفه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة: ١٢٨].

«حريص عليكم»: أي: على هدايتكم ووُصول النفع الدُّنيوي والأُخرَوي لكم، كما قال ابن كثير.[14]

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[النور: ٥٤].

فعلى قَدْر مُتابعته تكونُ العِزَّةُ والكِفايةُ والنُّصرَةُ والهدايةُ والفلاحُ والنَّجاةُ، وعلَّق اللهُ سبحانه سَعادةَ الدَّارَين بمُتابعته، وجَعَل شَقاوَةَ الدَّارَين في مُخالَفته.

فلأتباعه الهدى والأمنُ والفلاحُ والعِزَّةُ والكفِايةُ والنُّصرَةُ والولايةُ والتأييدُ وطِيبُ العيش في الدنيا والآخرة، ولـمُخالِفيه الخوفُ والضَّلالُ والـخُذلانُ

14- «تفسير القرآن العظيم» (4/ 241).

والشَّقاءُ.

يقول ابن القيم في «النونية»: [15]

وتَحــلَّ بالإنصــافِ أفخَــرِ حُلَّــةٍ زِينَــتْ بهــا الأعطــافُ والكِتفــانِ

واجعَـل شِـعارَكَ خَشْـيةَ الـرحمٰن مـعْ نُصْــحِ الرَّســولِ فحَبَّــذا الأمــرانِ

وتَــــمسَّكَنَّ بحَبلــــهِ وبوَحيِــــهِ وتَــــوَكَّلنَّ حَقيقــــةَ التُّــــكلانِ

هنا وقفات مع بعضٍ من هدي النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مع أهل الإبتلاء[16]، ونُصحِه الشَّريف لمن مسَّهُ شيءٌ من اللَّأواء.

نعلم جميعا أنه صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ ابتُلِـيَ بأنواعٍ من البلايا، وأوذِيَ أشدَّ الأذايا، فقد جاء في «مسند الإمام أحمد»[17] من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أنَّ النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**لَقَدْ أُوذِيتُ فِي الله، وَمَا يُؤْذَى**

15- انظر «شرح الهراس» (1/ 51).

16- وهذا هو الموضوع الأساس لهذه الكلمة المباركة –إن شاء الله–.

17- (12212).

أَحَدٌ، وَأُخِفْتُ فِي الله، وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثَةٌ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وَمَا لِي ولعِيَالِي طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلَّا مَا يُوَارِي إِبِطُ بِلَالٍ».

وفي «الصحيحين»[18] من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهوَ يُوعَكُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا؟ قَالَ: «**أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ**»، قُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «**أَجَلْ، ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**».

و«**الوَعْكُ**» بإسكان العَين المهملة، قيل: هي الحُمَّى، وقيل: حَرُّ الحُمَّى وما يجِدُه الإنسانُ من تَعَب.[19]

والأنبياء إنما خُصُّوا بشِدَّة الأوجاع والأوصاب لِـما

18- البخاري (5648)، ومسلم (2571).

19- انظر «مشارق الأنوار» للقاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ (2/ 291).

خصَّهم اللهُ به مِن قُوَّة اليَـقين، وشِدَّة الصبر والاحتساب، ليَـكمُلَ لهم الثوابُ، ويَعظَمَ لذلك أجرُهم عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لذا جاء في الحديث[20] أنَّ النبيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ**».

وفي «الصحيحين»[21] من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «**مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَشَدَّ عَلَيْهِ الوَجَعُ مِنْ رَسُولِ الله** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ». **وفي هذا الحديث فوائد:**

■ **منها:** أنَّ من هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التذكيرَ بأنَّ **البلاءَ سببٌ لعظيم الجزاء**، لأنه إذا عَلم العبدُ ما يحصُل من الابتلاء والامتحان من عظيم الأجر خَفَّ عليه الـمُصاب، وهانت عليه الأوصاب، ولذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

20- رواه الترمذي (2398).

21- البخاري (5646)، ومسلم (2570).

المخرَّج في «الصحيحين»[22]: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ**[23]**، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**».

■ **ومنها أيضا**: أنَّ الإخبارَ عن الحال لا يُعدُّ شكوًى لغير

22- البخاري (5641)، ومسلم (2572).

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «غاية النفع» (ص 23): «**فهذه الأسقامُ والبلايا كلُّها كفَّارات للذنوب الماضية، ومواعِظُ للمؤمنين حتى يتَّعِظوا بها، ويرجِعوا بها في المستقبل عن شر ما كانوا عليه.**

قال الفضيل: «إنما جُعِلت العِلَل ليؤدَّب بها العِبادُ، ليس كُلُّ مَن مَرِض مات».

وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله ﷻ: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[التوبة: ١٢٦]». انتهى.

وقال العلامة ابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ -كما في «الآثار» (1/ 338)-: «ما يكون من باب المصائب والآلام فعلى العبد أن يتناوله على أنه **نعمة من الله تعالى، فيها من الأجر والتمحيص، وبها يحصل الرجوع والإنابة إلى الله**، ويكون منها تربية وتدريب على السلوك اللازم في الحياة الفردية والاجتماعية». انتهى.

23- «النَّصَب»: التعب، و«الوَصَب»: المرض.

الله، لأنَّ النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ**»[24]، ولما قالت عائشة –كما في «الصحيح»[25]–: وَا رَأْسَاهْ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**بَل أنا وَا رَأْسَاه**»، وقد بوَّب عليه البخاري: «بَابُ ما رُخِّصَ للمَرِيضِ أن يقول: إِنِّي وَجِعٌ، أَوْ وَا رَأْسَاهْ، أَوِ اشْتَدَّ بِي الوَجَعُ».[26]

واحتج بهذا الحديث الإمامُ أحمد رَحِمَهُٱللَّهُ وعبدُ الله بن المبارك رَحِمَهُٱللَّهُ على أن الإخبارَ عن الحال وما يجدُه العبدُ لغرض صحيح لا يُعد شكوًى.

وعليه، فإنَّ **ما يَـخرُجُ عبر وسائلِ الإعلام مِن أخذ اللقاء مع بعض المرضى يَصِفُون حالهم** وما جرى لهم لتنبيه الناس من الوقوع في مخاطر الوباء وعدم الإخلال بإجراءات الوقاية **لا يُعدُّ شكوى، وإنما هو**

24- سبق تخريجه.

25- البخاري (5666).

26- انظر «فتح الباري» (10/ 123).

إخبار عن الحال.

ومن هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مع أهل الابتلاء** الأمرُ بالصبر، ولذلك كان من حُسن التوفيق، وأمارات السعادة، الصبرُ في الـمُلِمَّات، والرِّفقُ عند حُلول النَّوازِل، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[آل عمران: ٢٠٠]، وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[البقرة: ١٥٣]، في آيات كثيرة.

وفي الصحيحن[27] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن امرأةً سوداءَ أَتَت النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ لِي، قَالَ: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُعَافِيَكِ**» فَقَالَت: أَصْبِرُ. الحديث.

27- البخاري (5652)، ومسلم (2576).

وفي الصحيحين أيضا[28] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بامْرَأَةٍ عِنْدَ قَبْرٍ وَهِيَ تَبْكِي، فَقَالَ: «**اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي**».

وفي صحيح مسلم[29] عن صُهَيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**».

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كما في الصحيح-[30]: «**وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله**».

والصبر واجبٌ بإجماع الأمة[31]، وهو نصف

28- البخاري (1252)، وهذا لفظه، ومسلم (926).

29- (2999).

30- البخاري (6470).

31- قال ابن تيمية في «الفرقان بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان» (ص 136): «**والصبر واجب باتفاق العلماء**، وأعلى من ذلك الرضا بحكم الله، والرضا قد قيل: إنه واجب، وقيل: هو مستحب، وهو =

الإيمان، فإنَّ الإيمانَ نصفان: نصفٌ صبر، ونصفٌ شُكر.[32]

وروي عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قولُه[33]: «**ألا إنَّ الصبرَ**

=

الصحيح، وأعلى من ذلك أن يشكر الله على المصيبة لما يرى من إنعام الله عليه بها، حيثُ جعلها سببا لتكفير خطاياه، ورفع درجته، وإنابته إلى الله وتضرعه إليه، وإخلاصه له في التوكل عليه ورجائه دون المخلوقين». انتهى.

وقد يسَّر الله لي الكلام على منزلة الصبر مع بيان الفرق بينها وبين الرضا والشكر في «شرح منظومة السير إلى الله والدار الآخرة»، وهو منشور على الشبكة.

32- انظر «مدارج السالكين» (2/ 151).

وما أجمل قول الفيروزآبادي رَحِمَهُٱللَّهُ في «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» (2/ 274): «**ومن تأمَّل اختبار الله تعالى لعباده وجده تارةً يكون بالمسارِّ ليشكروا، وتارة بالمضارِّ ليصبروا. فصارت المِنْحة والمِحْنة جميعاً بلاءً**. فالمِحْنة مقتَضِيةٌ للصَّبر، والمِنحة مقتضيةٌ للشكر، **والقيامُ بحقوق الصّبر أَيسر من القيام بحقوق الشكر**، فصارت المِنْحة أَعظم البلاءَين». انتهى.

33- رواه أبو نعيم في «الحلية» (1/ 75)، وابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (8).

مِن الإيمان بمَنزلة الرأس من الجسد، فإذا قُطِعَ الرأسُ بادَ الجسدُ»، ثم رَفع صوتَه فقال: «**ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له!**».

قال بن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[34]: «**والصبر على البلاء ينشأُ من أسبابٍ عديدة:**

أحدها: شهود جزائها وثوابها.

الثانى: شهودُ تكفيرها للسيئات ومَحوها لها.

الثالث: شهودُ القدَر السابق الجارى بها، وأنها مُقدَّرة في أُم الكتاب قبل أن يُخلق، فلا بد منها، فجَزَعُه لا يزيدُه إلا بلاءً.

الرابع: شهودُه حقَّ الله عليه فى تلك البلوى، **وواجبُه فيها الصبرُ بلا خلاف بين الأُمة**، أو الصبر والرضا على أحد القولين، فهو مأمورٌ بأداء حق الله وعبوديته عليه فى تلك البلوى، فلا بد له منه وإلا

34- «طريق الهجرتين» (ص 276).

تضاعفت عليه.

الخامس: شهود تَرتُّبها عليه بذنبه، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[الشورى: ٣٠]، فهذا عام فى كل مصيبة دقيقة وجليلة، فيشغلُه شهودُ هذا السبب بالاستغفار الذي هو أعظمُ الأسباب في دفع تلك المصيبة»، وعدَّد أشياء أخَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

ولذا كان من هديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأمرُ بعدَم التسَخُّط والتضَجُّر عند حُلول البلاء، لأنَّ فيه معنى الاعتراض على قدَر الله، ولذا قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**».(35)

ونهى عن سَبِّ المرض فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كما

35- رواه الترمذي (2396).

جاء في صحيح مسلم[36] من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: «**لَا تَسُبِّي الْحُمَّى، فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ، كَمَا يُذْهِبُ الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**»، لأنَّ هذه الأَوبئةَ والأمراضَ وغيرَها هي من قدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا يجوز سبُّها.

فمن كان في مِـحْنةٍ يَهابُها، أو رَهبةٍ يخافُها، أو نَـكْبةٍ يَخشاها، فلا يتَعجَّل الـهَمَّ، وعليه بالصبر، فإنَّه مَقرونٌ للفرج، وفي الحديث الصحيح قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله**»[37]، يعني: من يطلُب توفيقَ الصبر مِن الله يُسهِّلْ اللهُ عليه الصبر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[38]: «**مَن لم يَصبِر صبرَ الكِرام، سَلَا سَلْوَ الْبَهَائِم**». انتهى.

36- (2575).

37- سبق تخريجه.

38- «مجموع الفتاوى» (17/ 24). ونحوه عند ابن القيم في «زاد المعاد» (4/ 177)، و«عدة الصابرين» (ص 52).

ومن هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدعاءُ لأهل البلاء، ومنه حديث المرأة السَّوداء، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنْ شِئْتِ دعوْتُ اللهَ لَكِ أنْ يُعافِيكِ**»[39]، وفي صحيح البخاري[40] من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا دخل على مريض يعودُه قال: «**لاَ بَأْسَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ الله**»، وفي حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صحيح مسلم[41] أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عاد رجلا من المسلمين قد خَفَتَ فصارَ مِثلَ الفَرْخِ[42]، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ**»، قال: نَعَمْ، كُنْتُ أقُولُ: اللهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سُبْحَانَ الله! لَا تُطِيقُهُ -أَوْ لَا**

39- سبق تخريجه.

40- (5662).

41- (2688).

42- أي: ضَعُفَ.

تَسْتَطِيعُهُ-، أفَلَا قُلْتَ: اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»، قال: فَدَعَا اللهَ لَهُ، فَشَفَاهُ.

فكان من هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّهيُ عن تمنِّي البلاء الذي لا يُطيقه الإنسانُ، والأمرُ باتِّباع المشروع من الدُّعاء الذي هو جامعٌ لخير الدنيا والآخرة.

وقد كان مِن أكثرِ دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سؤالُ الله العافية، ودعا برفع الوباء، كما جاء في الصحيحين[43] من حديث عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إلَيْنَا المَدِينةَ كَحُبِّنا مَكَّةَ أوْ أشَدَّ وصَحِّحْهَا، وبَارِكْ لَنا في صَاعِهَا ومُدِّهَا، وانْقُلْ حُمَّاهَا فَاجْعَلْهَا بالجُحْفَةِ**».

قال العلماء: فيه جواز الدعاء إلى الله برفع الوباء

43- البخاري (5677)، ومسلم (1376).

والحُمَّى والرَّغبة إليه بالصحَّة والعافية.[44]

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَلَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ قَطُّ بَعْدَ الْيَقِينِ أَفْضَلَ مِنَ الْعَافِيَةِ**».[45]

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ[46]: «**فلا ينبغي للعبد أن يتعرَّض للبلاء، ولكن يسأل الله العافية وأن يرزقه الرِّضا بالبلاء إِنَّ قُدِّر له البلاء**». انتهى.

ومِن صُوَر البلاء الأمراضُ الـمُعْدِية والعاهات الـمُؤذِية، ومنها ما حَلَّ في هذا الوقت من انتشار هذا الوباء «**كـورونا**»، وانتقالِ العَدوى بشكل مُخيف نظرا لتوفُّر وسائلِ النَّقل السَّريع بين البَشر، فأصبح الوباءُ بلاءً عامًّا يُصيبُ اللهُ به مَن يَشاءُ، ويَصرِفُه عمَّن يشاءُ، فما بين مُصابٍ يَنتظِرُ شِفاءً، وبين خائفٍ يَنتظِرُ نَجاةً، ومن قَضى إلى ربِّه صَريعَ سَهْمِه ولديغَ سُمِّه.

44- انظر «شرح صحيح البخارى لابن بطال» (9/ 393).

45- رواه أحمد في «المسند» (5).

46- «مجموع الرسائل» (1/ 176).

شفى اللهُ مرضى المسلمين، ورحِمَ اللهُ موتى المسلمين، وكفى اللهُ عامَّـةَ المسلمين شرَّ هذه الجائحة.

وكان من هدي المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التعامل مع مَن أُصيبَ بهذا النَّوع من المرَض الأمرُ بتوقِّيه، والبُعدِ عمَّن وقَع في مَرامِيه، ولذلك قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كما في البخاري[47]- من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وَفِرَّ مِنَ المَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ**»، وقوله -كما في الصحيح[48]-:«**لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**»، وفي صحيح مسلم[49] من حديث الشَّرِيد بنِ سُوَيْدٍ الثَّـقَفي، قال: كان في وَفْدِ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْذُومٌ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ، فَارْجِعْ**»، وفي الصحيحين[50] من حديث ابن عباس

47- (5707).

48- البخاري (5771)، ومسلم (2221)، واللفظ له.

49- (2231).

50- البخاري (5729)، ومسلم (2219).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قصة رجوع عمر بالمسلمين لـمَّا أُخبر بأنَّ الوَباء قد وقَع في أرض الشام حتى قال له أبو عبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللهِ؟»، قال عمر رضي الله تعالى عنه: «لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟ نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللهِ إِلَى قَدَرِ اللهِ»، حتى جاء عبدُ الرحمٰن بنُ عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخبره أنَّه سمِع رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**»، فحَمِدَ اللهَ عمرُ رضي الله تعالى عنه وانصرف.

وفيه: أنَّ الأَخْذَ بالأسباب المشروعة للتَّوقِّي من هذا الوَباء هو مِن قَدَر الله.

وقد جاء في مسند إمام أحمد[51] وجامع الترمذي[52]

51- (15472).

52- (2065)، وغيرُه، وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَن، وفِي بعض النسخ: حسن صحيح. وجاء من طُرقٍ أصحُّها ما جاء من طريق الزُّهري عن أبي خُزامة عن أبيه، وقد اختُلف فيه عن الزُّهري، وأبو خُزامة =

لـمَّا سئل النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أرأيتَ أدويةً نَتَداوى بها، ورُقًى نَسترْقيها، وتقاةً نَـتَّقيها، هل تَرُدُّ مِن قَدَر الله شيئا؟ قال: «**هِيَ مِنْ قَدَرِ الله**».

ولذا يقول بن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ[53]: «**لا تَتمُّ حقيقةُ التوحيد إلَّا بمباشرة الأسباب** التي نصَبَها اللهُ مقتضياتٍ لمسبَّباتها قدَرًا وشرعًا»، ويقول رَحِمَهُ اللَّهُ[54]: «**ليس إسقاط الأسباب من التوحيد**، بل القيام بها وإنزالُها منازِلَـها التي أنزلها الله فيها محضُ التوحيد». انتهى.

وأما حديث «**لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ**»[55]، ففيه أنَّ العدوى لا تضُرُّ بذاتها، وإنَّما تضُرُّ بقَدَر الله عَزَّ وَجَلَّ، كما أنَّ

=

فيه جَهالة. انظر «العلل ومعرفة الرجال» للإمام أحمد (1/ 168)، و«علل الدارقطني» (2/ 251).

53- «زاد المعاد» (4/ 14).

54- «مدارج السالكين» (3/ 459).

55- رواه البخاري (5753)، ومسلم (2220).

الأشياءَ المشروعةَ لا تنفَعُ إلَّا بقَدَر الله.[56]

ونحن مأمورون بالأخْذ بها، **فلا تقومُ عُبوديَّةُ الأسباب إلَّا على ساقِ التوكل، ولا يقوم ساقُ التوكل إلَّا على قَدَم العُبوديَّة.**[57]

ولذا قال بن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[58]: «الالتفات إلى الأسباب ضربان: أحدهما شركٌ، والآخَرُ عُبوديَّةٌ وتوحيدٌ.

56- وهو اختيار البيهقي، وتبعه ابن الصلاح، ونصره ابن القيم، وابن مفلح، وابن رجب، وأئمة الدعوة النجدية، في آخرين.

57- انظر «مدارج السالكين» (2/ 120). وما أحسنَ قولَ العلامة عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في «فتح المجيد» (ص 520): «**فعل السبب سُنَّة، والتوكل على الله توحيد، فإذا جَمَعَ بينهما تمَّ مُرادُهُ بإذن الله**». انتهى.

ويقول المكي بن عزُّوز التُّونسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «العقائد الكُبرى» (ص 53): «**فاليد تعمل، والقلب على الله يتوكل، واللسان يدعو الله،** فالشُّغل الواحد يخدمه الأعضاء الثّلاثة، ولا تنافي بين وظائفها الثّلاث. **هذا هو الشرع الكامل، وبه يتمّ المأمول للآمل**». انتهى.

58- «مدارج السالكين» (3/ 462)، بتصرف يسير.

فالشركُ أن يعتمد على السبب و يطمئنَّ إليه، ويعتقدَ أنَّه بذاته محصِّلٌ للمقصود، فهو مُعرِضٌ عن المُسَبِّب، وهذا شرك.[59]

والثاني: التفاتُ امتثال وقيامٍ بها وأداء لحقِّ العُبوديَّة فيها، وإنزالها منازلَـها، فهذا التفاتُ عُبوديَّةٍ وتوحيد». انتهى.

وهذا ما قرَّرَه قبلَه شيخُه شيخ الإسلام ابن تيمية[60] رحم اللهُ الجميع.

ومِن بدائعِ ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان القَدْرِ المأذونِ به في التَعَلُّقِ بالأسباب، قولُه[61]: «على العبد أن يكونَ توَكُّله واعتمادُه على الله، وأن يقومَ بالأسباب النافعة ولا يعتمد عليها، **ولكن الله إذا يَسَّرَها للعبد أو يَسَّرَ**

59- قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ في «صيد الخاطر» (ص 87): «**والوقوف مع الأسباب مع نسيان المسبِّب غلط**، والعمل على الأسباب مع تعلق القلب بالمسبِّب هو المشروع». انتهى.

60- انظر «مجموع الفتاوى» (8/ 528).

61- «مجموع الفوائد واقتناص الأوابد» (ص 36).

ثمراتها ونتائجها فرِحَ بها العبدُ واطمأنَّ بها قلبُه، مِن غير اعتمادٍ عليها، بل استبشارا بأنها من فضله وتيسيره، ولهذا لما ذَكرَ اللهُ إمدادَ الملائكة للمسلمين في بدر قال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران: ١٢٦]...». انتهى.

هذا، ونسألُ اللهَ سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يدْرَأَ عنَّا وعن المسلمين شرَّ هذا الوَباء، وأن يجعلَنا مِن عباده الصالحين وحِزبِه الـمُفلِحين الذين إذا أعطاهم شَكَروا، وإذا ابتلاهم صَبَروا، وإذا أذنَبوا استغفروا، وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمد وعلى آلِه وصحبه أجمعين.